

تهشيم الفحولة في مرايا السرد الأنثوي

قراءة في ثلاثية أحلام مستغانمي

Breaking the Masculinity in the female narration mirrors

Review in the trilogy of- *Ahlem Mostghanmi*-

الدكتور: ميسوم عبد القادر

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف-كلية الآداب والفنون-قسم الأدب العربي

البريد الإلكتروني: a.missoum@univ-chlef.dz

تاريخ القبول: 2019/05/02

تاريخ الاستلام: 2019/01/03

الملخص:

تهدف مساهمتنا في هذه الدراسة إلى الكشف في العالم السردى للكاتبة الروائية أحلام مستغانمي عن استراتيجيات تهشيم الفحولة في متن السرد الحكائي النسوي ، وما مدى مساهمتها في حبكة الخطاب من منظور السارد، وقد رأينا أن الوجدتين الملائمتين للتحليل هما: الشخصية الروائية، والموقف الروائي، فحاولنا أن نوازن بين الانفتاح الفكري على مصطلح " الآخر/ الفحولة" وتمظهراته الفنية.

الكلمات المفتاحية: ، تهشيم الفحولة، التبئير، الخطاب السردى ; أحلام مستغانمي

Abstract:

The subject matter of this study revolves around the following study questions: how does the masculinity manifest itself in the novels of-Ahlem Mostghanmi? In addition, to what extent does he contribute in the narrative discourse of the story? We have seen that the two appropriate units of analysis are narrative characters and technique of focalization. We have tried to illustrate the term "other" and its artistic appearances.

Key Words:

Breaking the Masculinity; Focalization; narrative discourse, Ahlem Mostghanmi

تعددت الأجناس الأدبية في تطرقها إلى العلاقة بين الشرق والغرب على يد الرحالة والشعراء والمصورين ذوي الخيال المتحيز والمغرض، ولقد كان الغرب سباقا إلى اختلاق صور أصبحت فيما بعد معينا لا ينضب لقوالب وسمات عن "الشرق" لا يزال إلى اليوم يمعن في تبنيها بشكل يثير الدهشة والاستغراب، وقد تعاملت الرواية العربية منذ تجاربها المبكرة وحتى العصر الحالي مع هذه الإشكالية التي صارت "تيمة" محورية في الخطاب السردى العربى الحديث والمعاصر.

وحسبنا هنا أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر أعمالا روائية حضرت بثقلها في الساحة العربية من مثل: ("عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، "قنديل أم هاشم" ليحيى حقي، "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس"، "وموسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح)، وقد وقع اختيارنا على ثلاثية أحلام مستغانمي "ذاكرة

الجسد¹ 1988، وفوضى الحواس² 1997، عابر سري³ 2002، نظرا لأنها خطاب نسوي جزائري اتسم بالجرأة والمغامرة الفنية، كما يعتبر إسهاما لا يستهان به في " صورة الآخر" لكن برؤية منحرفة عن المؤلف التي جسدها فكرة الصدام الحضاري.

إن جدلية "الآخر" من أهم المسائل المطروحة أبستمولوجيا وبصورة مكثفة في الفكر الفلسفي منذ أزمان خلت، ليس كإشكالية نظرية فقط بل كمشكلة واقعية، فنحن نصطدم بالآخر في كل خطوة نخطوها، وإننا مطالبون بقبوله طوعا أو كرها سواء أكان مختلفا عنا في اللغة أو الجنس أو في الدين أو المذهب، وبتبسيط أكثر وتعقيد أقل أليس هو هاجس الصحف ووسائل الاعلام وحتى الفضاء الأزرق. وليس أمر الكتابة السردية النسوية بأبعد عن هذا.

مصطلح "الآخر"

ليكون طرحنا منهجيا فإنه يتوجب علينا تقديم مفهوم لهذا المصطلح، وفي هذا الصدد سيطول بنا الحديث ويتشعب لو أننا تتبعنا فكرة " الآخر" من جذورها الأولى، فالفلسفة الأوروبية هي أول من روج لهذا المصطلح منذ " ديكارتر وهيغل وماركس وسارتر...." لنقتصر على إشارات مقتضبة، نقرأ في موسوعة الفكر الأوروبي ومصطلحاته الفلسفية ما يلي: " الآخر: أحد المفاهيم الأساسية للفكر وبالتالي يستحيل تعريفه، لكنه يقابل " الذات " le même أو "الأنا" أما هذه

الأخيرة فلا معنى لها سوى أنها المقابل لـ " الآخر " L'autre. إذن تقابل وتعارض وتضاد أو أنها المطابق مما يعبر عنه بـ Identité وهو ما يترجم اليوم بـ " الهوية" ⁴ وأما مفهوم الغيرية Altérité فإنه يبدو ذو علاقة اشتقاقية من Altération/ Altérité ويعني التغير والتحول إلى السلب، ومعنى هذا أن مفهوم " الغيرية" في الفكر الأوروبي ينطوي على السلب والنفي La Négation و" الذات" لا تفهم إلا بوصفها سلبا أو نفيا لـ " الآخر" ⁵.

الواقع أن مشكلة " الآخر" لم تترك العرب وحدهم في تعاملهم مع الغرب، بل ها هو T. Todorov يخصص كتابا لهذا الموضوع الذي تناول فيه هذه المعضلة بشيء من التفصيل ⁶ حيث عكس للفرنسين صورتهم في مرآته ككاتب متمرس في حقل الفلسفة، بمعنى أنه أسقطهم في مرآته الخاصة بصفته " بلغاري الأصل" بعد أن اندمج في " الآخر" الفرنسي وثقافته، وعلى مدار صفحات الكتاب الطويل يكشف أشياء مدهشة عن طريق استعراض أفكار ثلاثين مفكرا فرنسيا ينتمون من القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر من بينهم: مونتيني، رينان، ميشله، وحتى " فولتير" وكلهم يؤيدون العنصرية أي تفوق الرجل الأوروبي الأبيض على كل شعوب الأرض فيقول: قد يكون من الشيق مقارنة " بوفون" و" فولتير" في هذه النقطة التي تعكس قناعاته المتعلقة بالطبيعة شبه الحيوانية للعروق الدنيا ⁷ وإن من واجب أوروبا أن تقوم بتحضير كل الشعوب لأنها تعتقد أنها صاحبة رسالة حضارية، تفرض عليها إخراج الآخر / العربي والمغاربي وغيره

من غير الجنس الأوروبي من همجيته إلى نور الحضارة ، وبالفعل فهي تسعى إلى إدماج الوافد المغربي بأقل التضحيات والصدمات في المجتمع الأوروبي.

وبالرجوع إلى جدلية " الأنا / الآخر التي وجدت عمقها وتوترها في الأدب والفن وخصوصا الكتابة الروائية تتجلى لنا صورة الآخر في معظم النصوص عدوانية بدرجة أولى تؤطرها ثنائية الشرق/ الغرب التي راجت بين أوساط الدارسين في هذا الحقل القائم على قاعدة" غالب/ مغلوب" هذه هي السمة العامة التي قدمتها الرواية العربية. وعلى سبيل المثال لا الحصر، رواية " ما تبقى لكم" لغسان كنفاني حيث تحضر صورة الاحتلال الصهيوني ورواية «السفينة» لجبرا إبراهيم جبرا، ورواية " عودة الطائر إلى البحر" لحليم بركات" وفي الرواية الجزائرية رواية " اللازم" للطاهر وطار وعدد كثير لايسع المجال لذكرهم وخصوصا الرواية المكتوبة بالفرنسية.

غير أن المنحى الذي يتخذه " الآخر" في زمن انفجار العصبية الدينية والعرقية يختلف من مبدع إلى آخر ففي " الرغيف" لتوفيق عواد يمثل الأنا العربي والآخر هو العثماني، وفي "الزيني بركات" لجمال الغيطاني يمثل الآخر جهاز البصاين وفي " رامة والتنين" لإدوارد الخراط تتمثل هذه الجدلية في الديانتين المسيحية والإسلام وعلى وجه الخصوص، كيف يتمظهر الآخر في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي؟ وما هو دوره في الحبكة السردية؟ ما مدى فعالية هذه الجدلية في تفعيل الكتابة السردية وانعكاسات التبئير؟ أسئلة كهذه وغيرها هي مسار البحث في هذه الدراسة.

الفحولة موضوع الحكي والتبئير

تميل الرؤية السردية في ثلاثية أحلام مستغانمي إلى تكسير نمطية السرد الكلاسيكي القائم على السرد الطويل واعتماد التداخل في تقديم المحكي المتخيل في لحظة رصد الموضوع المبأر، وهو ما نلاحظه من خلال توظيف تقنية "القناع" التي يحتجب الروائي من ورائها، وهي تقنية عرفت خصوصاً عند "روسو" و"ستندال"⁸ ولما كان المحكي المتخيل في الرواية يتميز بكونه حكي أقوال فإن "مقول العين focalization" حاضر في النص بكثافة معتمدة، والروائية تمارس هذه التقنية وتعرض مقولها حسب خصوصيات النص المؤنث بملفوظات سردية ووصفية. لكن مناهج البحث الحديثة وعلى الأخص "المنهج البنوي" لا يسمح باستعارة "العين" إذا تجاوزت حدود الدال، وأقصى ما يتاح لها أن تكون عينا ورقية نصية لا تصور ما حول النص لذلك استبدل G.Genette مصطلح الرؤية بمصطلح "التبئير"⁹ والفكرة نفسها يعرضها الباحث "سعيد يقطين" في كتابه "تحليل الخطاب الروائي- الزمن، السرد، التبئير. حيث نلاحظ أنه يركز على هذا المصطلح ويعطيه صبغة بنوية لتحديد مسائل تتصل بالمستوى القولي "Plan Verbal".

وقبل الشروع في تحديد البنية الموضوعاتية الكبرى التي يهيكل حولها معمار الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي لا بد أن نشير إلى ما ذكره J.P Richard في

كتابه "العالم التخيلي للمارمييه" فيقول: "إن الموضوعات الكبرى في عمل أدبي ما هي الموضوعات التي تشكل المعمارية غير المرئية L'invisible architecture لهذا العمل، ولذا فهي تزودنا بمفاتيح تنظيمه، وهذه الموضوعات هي التي تتطور على امتداد العمل الأدبي وهي التي نقع عليها عيانا بغزارة استثنائية"¹⁰.

ولما فتشنا من خلال قضايا السرد والأحداث والحوار وسلوك الشخصيات عن النواة التي نسجت حولها "المدونة" وجدنا ذلك كله يستجيب لثلاثة مواضيع رئيسة هي "الحب، الموت، الوطن، ومن خلال هذه الموضوعات تتسريل صورة الآخر، ونحن هنا أمام قضية الآخر/ الأثنى والهوية المؤنثة للذات الكاتبة التي حققت الاستثناء بقولها هذا: "سيقول نقاد يمارسون النقد تعويضا عن أشياء أخرى، إن هذا الكتاب ليس رواية، وإنما هذيان رجل لا علم له بمقاييس الأدب وأؤكد لهم مسبقا جهلي واحتقاري لمقاييسهم"¹¹. فكيف سردت أحلام/ البطلة ذاتها؟ وكيف تصرفت مع قطبها الآخر/ الذكر خالد بن طوبال؟

تهيكل المدونة في بناء خطابها على برنامج سردي يتم فيه توجيه السرد وبرمجته من زاوية المونولوج الذاتي، ومن زاوية الشخصيات المشاركة في مغامرة الحكى داخل الفضاء العام "قسنطينة/ باريس" وتتداخل خيوط الحبكة بفعل هذه التقنية لتكتسي الشخصية المحورية أحلام/ حياة في المدونة وضعا متميزا في التركيب والدلالة، فهي تارة فاعل للحكي أي تمتلك السرد في "فوضى الحواس" وتارة أخرى تتخلى عنها لقطبها المذكر وتصبح موضوعا للتبئير في ملفوظ الآخر/

خالد بن طوبال الذي ينوب عنها في زمام الوصف وفق ما يمثله المجتمع الذكوري، وهذا ما تجسد في النصين " ذاكرة الجسد/ وعابر سيرير".

وتبقى الهيمنة الكبرى للحكي تحت تراكمات اللغة والخصوصية الثقافية والحس الأنثوي .. فهي موضوع وأداة أو رمز أدبي يتساوى مع رموز أخرى تشيع في لغة الرجل والمرأة، مثلها مثل الناقة والفرس والغزال... هي مسجونة والرجل السجان .. هذا هو العرف الثقافي¹² لكن الكتابة أرادت قلب هذه المعادلة.

مع الحركة النسوية ومطالب المساواة والتحرر لم يعد لهذا العرف وجود في مجتمعنا الحالي، ولعل ما صادفنا من أساليب حكائية لا يخرج عن مجال هذا التصور، كما أن الباحثة السورية " بثينة شعبان" تعلنها صراحة في قولها هذا: " حاولت الروائيات العربيات تحرير صورة المرأة من كونها جسداً أو جنساً، كما حاولت تثقيف الرجل حول الأبعاد الفنية لحياة النساء"¹³ هذه هي نتائج موجة التحرر التي انطلقت في أوروبا، ويبدو في صلب اعتقادنا أن المتخيل هو المجال الأنسب لمناقشة هذه القضية الشائكة التي تتعدى التعاريف البسيطة والتصورات الساذجة، وحسبنا هنا أن نقبل على ما كتبتة الروائية الجزائرية أحلام مستغانمي في هذه المدونة من خلال عرضها لصور عديدة تجاوزت النسق اللغوي إلى مرحلة القصصية والتأويل بتوظيف شبكة مكثفة من الرموز والدلالات.

تمهشيم الآخر/ خالد بن طوبال

إن شخصية خالد – الرسام-هي أول ما يثير اهتمامنا نظرا للدور المتميز الذي تلعبه في شبكة العلاقات وأحداث الثلاثية، إذ توظف الكاتبة ثنائية الذكر/ الأنثى توظيفا لا يخلو من الانحياز لتدافع عن كيان الأنثى. أي هي محاولة لتكسير سلطة المجتمع الذكوري، وخصوصا لما نصادفها تكتب بأسلوب ينضح بملفوظات سردية تنم عن نرجسية مؤنثة تصر على الثأر من الآخر/ الذكر، فوضعت الموضع على شخصية البطل الذي كان أحد المقاتلين والمناضلين في حرب التحرير الجزائرية تحت قيادة (سي الطاهر) والد – حياة /أحلام. وفي إحدى المعارك يصاب البطل في ذراعه اليسرى فيضطر للخروج إلى تونس لتلقي العلاج وهو يحمل وصية –سي الطاهر-لتسمية مولودته الجديدة-أحلام-ثم ينقطع الزمن لمدة خمس وعشرين سنة ليتشابك مرة أخرى بين البطلة والراوي لكن من زاوية مقلوبة. يقول الراوي "" إننا نكتب الروايات لنقتل الأبطال لا غير، وننتهي من الأشخاص الذين أصبح وجودهم عبئا على حياتنا، فكلما كتبنا عنهم فرغنا منهم وامتأنا بهواء نظيف"¹⁴.

خالد / الآخر هذه الشخصية التي تسلت في العتمة الحبرية بين صدق الواقع ووهم المتخيل هو إحدى الأدوات السردية التي حملتها الروائية مهمة تبليغ رسالات مشفرة لتكشف عن أغراض شخصية، وفي هذا الصدد لا يسعني إلا أن أقتبس هذه المقولة للكاتب عبد الله الغدامي لتوضيح بؤرة الإشكالية فيقول:" إن حادثة بتر الذراع علامة على عصر ثقافي جديد يخرج الرجل فيه من

الفحولة ذات السلطان المطلق واليد العليا ... ويدخل في علاقة نسبية مع الأنوثة"¹⁵.

هكذا تعلن أحلام مستغانمي الثأر علنية وتورية فتعكس مرآة النص المؤنث التحيز الجنسي وتصبح الشخصية الذكورية في صورة سلبية وضعيفة، فكانت نهاية البطل في نص - ذاكرة الجسد- تدل على انتهاء فحولته وتقديمه كرجل ناقص بيد واحدة وجسد مشوه، هكذا كتبتة الأنثى وجعلته كائنا ورقيا خاسرا، ودفعت لسانه ليجري ضد فحولته يقول الراوي: "أنا الهيكل المفتت الأطراف"¹⁶ فهل أرادت الكاتبة بهذا التصريح أن تسقط المتلقي الذكوري في دوامة التحيز وتستفزه؟ هذا ممكن، وربما تصورنا أن الأمر يتوقف عند هذا النص، لكن تزداد حدة التوتر السردى حتى في نص - فوضى الحواس- عندما نصادف البطل يتشابه مع بطل نص - ذاكرة الجسد-.

خالد / المصور الصحفي

شخصية ذكورية ونسخة ثانية حققت كثافة نصية في - فوضى الحواس- قدمته لنا الراوية بصورة مشوهة، فهو مصور صحفي تلقى رصاصتين في ذراعه اليسرى إثر تغطيته الإعلامية لحوادث أكتوبر في الجزائر 1988، وهو في المستشفى يتمثل للشفاء يقرأ رواية - ذاكرة الجسد- ليكتشف الشبه بينه- الذراع المبتورة- وبين بطل الرواية، غير أن هذه الشخصية تخرج من بين السطور لتخوض مغامرة عشقية عنوانها الحرمان مع البطلة/ أحلام، هذه

الأخيرة رغم أنها متزوجة مع (سي ...) الضابط العسكري، إلا أنها تحب غريمها خالد -المصور- فهل كان حبها هذا فعل خيانة؟ يبدو لي أن الأمر خلاف ذلك إذا تتبعنا دلالة الموقف وإيقاعه الخفي. تقول الراوية "أنا التي دخلت معه هذه المباراة اللغوية ككاتبة تحترف الكلمات وترفض أن يهزمه" بطل" في عقر دارها وفي كتاب هي صاحبتة"¹⁷. إن هذا المقبوس السردى يشي بموقف محدد تؤطر حدوده كلمة "مبارزة" فكيف يمكننا أن نفسر هذا؟

لقد عكست " نوال السعداوي" في روايتها امرأة عند نقطة الصفر حرب التنافر بين الجنسين الذكر والأنثى حيث تستحضر فيها الكاتبة توجهها فكريا شاذا ينهال على جنس الرجال بالحق المطلق وتتفجر بالنقمة على رجل تعاني صورته في أدبها آثار التشويه الكاريكاتوري المتعمد والمصطنع، وما هي أحلام مستغانمي تواصل بنفس الوتيرة في كثير من ملفوظات صريحة في خطابها تقول الراوية: " أنتبه لذراعه اليسرى.. وإذا بي أمام رجل خلقتة وشوخته بنفسي"¹⁸ بعد - ذاكرة الجسد/ وفوضى الحواس- تخرج أحلام مستغانمي في نص جديد يحمل حمولات دلالية أكبر من عنوانه البارز " عابر سرير" ويعود أبطال النصين السابقين إلى مسرح أحداث الجزء الثالث، ولا نلمس أي تغيير فقط في البنية الزمانية، فشخصية أحلام/ حياة بفيضها الأنثوي حاضرة وخالد /المصور- وخالد/ الرسام، لا يبتعدان عنها وقد غدا غرامهما أكثر انزياحا.

وما كان للحس الأنثوي أن يذهب أبعد من فعل التشويه حتى ولو تعدى الموقف إلى القتل المجازي تقول الراوية: "ثمة أبطال يكبرون داخلك إلى حد لا يتركون

حيزا للحياة، ولا بد أن نقتلهم لنحيا... خالد مثلا لو لم أقتله في رواية لقتلني¹⁹ " وبغض النظر عن التفاصيل التي تؤكد هذا الفعل، فإن سبيل البطلة الرائية هو قتل الآخر/ الذكر الذي يحضر بوضوح حيناً، وبإحاء رمزي حيناً آخر بسبب مقتضيات الموقف السردي، وكثيرة هي المواقف التي لا يمكن حصرها في هذه الدراسة.

غير أن هذا لا يقلل من مكانة الآخر / الرجل بتاتا في الخطاب، بل يضيف مفارقة إلى الصورة، بين الاعجاب والعداء في نص " عابر سرير" الذي تهيمن فيه اللغة الشعرية على مجرى الأحداث التي تبدو مقاساتها صغيرة إذا ما نثرت على بنية الرواية، ومما لا ريب فيه أن اللغة تأخذ سعتها في أجواء الرومانسية وأرجاء الخيال ، وكذلك النزعة النفسية بنوعها السادية والمازوشية، فبطلة الثلاثية " حياة/ أحلام" تعلن في نهاية معركتها أنها لا تستطيع التنصل من القطب المذكر الذي يسكنها ويطاردها كالطيف فتعود بين أحضانه من جديد معلنة الاستسلام للفطرة ومستجيبة لنداء الوجود، وحرى بهذه التنويعات في المواقف السردية أن يمتد أثرها حتى إلى تيمة " الصدام الحضاري".

الآخر/ الحضارة الغربية

تحت وطأة الشعور بتخلف الشرق العربي وتفوق الغرب الأوروبي أصبح هاجس العلاقة بالغرب مؤثرا في بنية العقل العربي، وصار الغرب هو المرآة العاكسة للذات العربية في مجالات مختلفة، ومازال هذا الهاجس قائما حتى عصرنا

الحالي ويجد تعبيراً له في أبحاث كثيرة من الإنتاج الإعلامي والفكري والأدبي وحتى السياسي " فالصراع الأزلي الأبدي بين الشرق والغرب هو الصراع الأزلي بين الرجولة والأنوثة وكذلك بين المثالية والمادية"²⁰ وإذا فتشنا عن جذور هذا الصراع الأزلي في الكتابات الروائية العربية وجدنا رواية توفيق الحكيم " عصفور من الشرق 1938 " ثم تلتها مجموعة كبيرة من النصوص تعاطت هذا الموضوع حتى استحدثت لها مصطلحا خاصا هو " روايات الانثروبولوجيا الحضارية" ولعلنا لا نغالي في رصد نماذج على سبيل التمثيل لا الحصر وحسبنا هنا أن نذكر رواية الطيب صالح " موسم الهجرة إلى الشمال" وكذلك " العجي اللاتيني" لسهيل إدريس، و" قصة حب مجوسية" لعبد الرحمن منيف، وحتى ثلاثية أحلام مستغانمي تعكس هي الأخرى فكرة الصدام الحضاري من خلال توظيف شخصيات نسائية غربية تمثل هي الأخرى الوجه الآخر لعلاقة الرجل العربي مع المرأة الغربية.

(كاترين/ فرانسواز) هي من الشخصيات النسائية الموظفة داخل المتن الحكائي لتعكس الآخر / الحضارة الغربية، فرنسا تحديدا، كان قد تعرف عليها البطل/ خالد في إحدى جلسات الرسم في مدرسة الفنون الجميلة، حيث كانت - كاترين- " موضوع ذلك اليوم.. موديل نساء عار"²¹ إذ باشر جميع الطلبة في رسم تقاسيم هذا الجسد كأنهم يرسمون منظرا طبيعيا أو مزهية على الطاولة، لكن ريشة - البطل- أبت أن ترسم لأنها تحمل رواسب عقل رجل قادم من " الشرق" ويمكن توصيف دلالة هذا المصطلح من خلال الكتابات الروائية التي

تناولت قضية الشرق العربي/ الغرب الأوروبي وصنفته في درجتين مختلفتين: "الأولى هي الإلحاح على الادعاء بأن "الشرق" هو مكان الفسق والملاذات، والثانية هي أن هذا "الشرق" هو عالم العنف المتأصل"²² والمتأمل لدراسة رنا قباني حول أساطير أوروبا عن الشرق يجد من المادة ما يعطيه انطبعا راسخا على مقصدية التمثيل والتصوير. لكن كيف هي نهاية هذا الصراع في المتخيل وفي الابداع الفني؟

إن جل الروايات التي تعرضت في موضوعها لهذا الصدام الحضاري انتهت بفاجعة تقوم على سوء التفاهم، نظرا للخلفيات والقوالب الجاهزة التي تغذي الذهنيات، فلقد قتل "مصطفى سعيد" -بطل موسم الهجرة إلى الشمال- "جين موريس" وعندما قدمت "سيمون" -بطلة رواية أصوات لسليمان فياض- مصر العربية ماتت هي الأخرى، إذن فكرة "الغزو الاستعماري" لا زال تأثيرها ومفعولها حيا في ذهنيات الشعوب المقهورة وما هذه إلا عقدة انتقام فحسب.

والظاهر أن عقدة الانتقام من الآخر/ الغربي لا تزال إلى اليوم تجسد حضورها بشتى وسائل التعبير وخصوصا السينما، فالرجل العربي لا تلبث أن تطأ رجله أرضا أوروبية إلا ويبدأ في البحث بلهفة عن أنثى غربية ليفك عقدة الانهيار والاستعلاء والنقص، لكن رؤية أحلام مستغانمي شكلت عدولا طفيفا عن هذا التصور، فعلاقة "خالد/ الرسام" مع "كاترين" وخالد/ المصور مع "فرانسواز" جاءت خالية من عقدة الانتقام، لكنهما جسدت التناول الجنسي والفحولة القادمة من الشرق، فكل قناع من أقنعة الشخصيات في هذه المدونة ليس

مجرد شخصية في نظرنا بل هو ممثل لحضارة كاملة يقول الراوي في صلب النص: " اخترت لي أكثر من عشيقة عابرة، أثنت سريري بالملذات الجنونية، بنساء كنت أدهشهن كل مرة أكثر"²³ إنها الصورة المماثلة لسير " مصطفى سعيد" وكانت " كاترين" إحدى ضحايا هذه العقدة المحفوفة بنيران الشهوة في مقاطع كثيرة من - ذاكرة الجسد- تبدو فيها صورة الآخر الغربي مختزلة في شخصية نسائية هي موضوع الجنس والرغبة .

بالرغم من فارق النشر بين الأجزاء الثلاثة للمدونة (ذاكرة الجسد 1980/ فوضى الحواس 1997/ عابر سير 2002) يبقى الآخر في نظر أحلام مستغاني قابعا في ركن الجنوسة ولم يتزحج عن هذه الإشكالية الحضارية يقول الراوي: " كنت رجلا لا يدري كيف يتدبر لجاما لتلك المهرة الجامحة"²⁴ من كل ما سبق عرضه في هذا العنصر -الآخر / الغربي- من ملابس وطروحات تبين لنا أن هاجس الهوية المؤنثة بدا ثخينا وثقيلا ومحاصرا بمواقف إيديولوجية وخصوصا في " خطاب المتعة" وتنشيط تقنية التبئير بين الواقع والخيال التي تعرض لنا صورة الآخر منعكسة على موشور، والنتيجة عدة تأويلات واحتمالات متعددة بتعدد القراءات.

خاتمة:

ويبدو بعد إذ قاربنا كتابة الآخر في ثلاثية أحلام مستغاني أن بطل " الثلاثية" خالد لا يمثل نفسه فقط ولا المثقف فحسب وإنما يغدو رمزا للحلم الوطني

المسلوب والذات الجزائرية المقهورة، وتغدو " فرانسواز" رمزا للغرب الاستعماري والآخر الحضاري، ويمكن القول ختاماً أن الإشكالية الحضارية بين الشرق والغرب في هذه المدونة منفتحة على أكثر من قراءة فمنها ما جاء صراحة ومنها ما يقبل التأويل، ولنا أن نتدبر في هذه المفارقة موطن الآخر / الفردوس المفقود الذي أصبح اليوم هو مطلب المثقف وغير المثقف، ينشد الحرية في حضنه متناسلاً عقدة الصراع ومأساة الوطن والذاكرة، وإلا كيف نفسر قوارب الهجرة غير الشرعية وقضايا اللجوء السياسي وغيرها كثير، إنه حس الاغتراب كدلالة على فقدان الهوية والانتماء وتنطلق بكائية " قسنطينة" بحس درامي ينم عن خيبة أمل مما آلت إليه أوضاع هذا الجيل وهذا الوطن.

1 --أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، ط 17 . 2001

2 -- أحلام مستغانمي، فوضى الحواس، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، ط 12 . 2003

3 - أحلام مستغانمي، عابر سرير، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت، ط 02 . 2003
Paul, Folique, dictionnaire de la langue philosophique, PUF, 6 ED, France 1992,

4 P : 63

5 Syline Courti- Denamy ; Altérité. Encyclopédie universalise, France 2001 P : 3

T. TODOROV, Nous et les autres, La réflexion Française sur La diversité

- 6 humaine ; Seuil, Paris

- تودوروف، نحن والآخرين، النظرة الفرنسية للتنوع البشري، تر: ربي حمود، دار المدى، دمشق ط 1 1998 ص: 122⁷
- فيصل دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط 1 1999 ص: 235⁸
- زهرة الجلاصي، النص المؤنث، سراس للنشر، تونس 2000، ص: 30⁹
- 10 61,P:24 19J.P Richard, Univers Imaginaire de Mallarmé, Ed, Seuil, Paris
- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص، 386¹¹
- عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط 2 1997 ص: 1997¹²
- بثينة شعبان، مئة عام من الرواية النسائية العربية 1899-1999 دار الآداب، بيروت، 1999 ص: 69¹³
- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص، 18¹⁴
- عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، مرجع سابق، ص: 187¹⁵
- ذاكرة الجسد، ص، : 272¹⁶
- فوضى الحواس، ص، : 261¹⁷
- فوضى الحواس، ص: 270¹⁸
- عابر سرير، ص: 188¹⁹
- جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة، دار الطليعة بيروت، ط 3، 1982 ص: 29²⁰
- ذاكرة الجسد، ص، : 94²¹
- رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق، تر، صباح قباني، دار طلاس، دمشق، ط 1، 1980، ص: 20²²
- ذاكرة الجسد، ص، : 385²³
- عابر سرير، ص: 87²⁴